المجلة الزيتونية

مجلة علمية ادبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

الجزءان ٣-٤	تونس في ربيع ١ والآخر ١٣٦١ وفي مارس - افريل ١٩٤٢	المجلد الخامس

امر علي

في العمل بالخط والرسوم

من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع الامور اليه احمد باشا باي صاحب المملكة التونسية سدد الله تعالى اعماله وبلغه ءاماله الى من يقف على امرنا هذا من الخاصة والعامة اما بعد فبناء على ما لمسالة العمل بالخط والرسوم من الاهمية اذ الرسوم هي التي اقيمت عليها دعائم الاحتجاج على جميع التصرفات والانتقالات الشرعية - وبناء على ما في عبارات بعض الفقهاء من الحنفية مما يقتضي عدم العمل بالخط والرسوم مما افضى الى اتخاذ ذلك ذريعة الى تلاعب بعض نظار الاوقاف بنصوص الواقفين وشروطهم والعمل في الاوقاف طبق شهواتهم حتى اذا ما قام عليهم قائم يطلب اصلاح ذلك الفساد ويطلب اتصاله بحقه واستدل برسم الوقف عارضوه بانه خط وجرى عمل النظار بخلافه فلا يحتج به ولو كان الرسم غير مستراب في نظر القاضي - وبناء على ان مثل هذا الاضطراب من شانه ان يبقى الناس غير مطمئنين على حقوقهم وعلى اوقافهم بالخصوص التي نصوصها محترمة كنصوص الشارع - ورغبة منا في حفظ حقوق رعايانا وصونها عن عبث الايدي المفسدة - وبعد اطلاعنا على نتيجة المفاوضة التي وقعت بين جناب مشائخ المجلس الشرعي الحنفي وبعض مدرسي الطبقة العليا من

المستشرقون

المحاضرة القيمة التي القاها الاستاذ المستشرق م. برشي رئيس قسم الترجمة بالكتابة العامة امام مذياع تونس القومية وقد درس فيها اعمال جماعة من المستشرقين المهتمين بالبحوث الاسلامية

ايها المستمعون الكرام

اسمحوا لي قبل البحث في موضوعنا هـذا ان اتلو على مسامعكم نبذة مما كتبه احد مؤرخي الادب العربي العصري في مصر ، في شان المستشرقين وما قاموا به من الاعمال ، قال :

« المستشرقون هم جماعة من علماء الغرب تفرغوا للبحث في الآثار الشرقية . ولما كانت اللغة العربية ارقى لغات الشرق واغناها بالمؤلفات الخطيرة ، كثر الراغبون في دراستها والمقبلون على تحصيل آدابها . وقد نبغ من فضلاء الاجانب افراد اماثل بلغوا من العربية مبلغا بعيدا ، ووضعوا في لغاتهم تاليف غراء عن لغات العرب واديباتهم واخلاقهم واخبارهم وسائر شؤونهم ، لا يتمالك المطلع عليها من الاعجاب بسعة علمهم ودقة نظرهم ، فضلا عما هو مشهور عن بعد غورهم في المباحث العميقة وحنكتهم في حل المشكلات واستجلاء الغوامض ؛ بما نظروا عليـه من الولوع في التنقيب والتنقير والعناية بجمع الآثار وامهات الكتب للمقابلة والتنظير والاستنتاج ، فأماطوا اللثام عن كثير من مبهمات المسائل ؛ فجاؤوا بالعجب العجاب . ولم تقف خدمتهم لهذه اللغة عند هذا الحد ، بل استنطقوا الالسنة بعاطر الثناء على همتهم واريحيتهم ؛ بما نشروا من آثار السلف التي اخرجوها من زوايا النسيان فجعلوها من قراء العربية على حبل الذراع . ولهم في ابراز المكنونات الثمينة مزايـا فريدة من الدقة والامانة والعناية . . . . »

ان هذا الاعتراف بفضل المستشرقين الصادر من مؤلف شرقي ، جدير بشكرنا وامتناننا نحن معشر المستعربين ، ولو كان فيه ما فيه من المبالغة ـ اذ اعمـال المستشرقين كسائر الاعمال البشرية لا تخلو من الهفوات والغلطات ، وان كان في مجموعها السمين راجحا والغث مرجوحا .

ولكن ما كان الداعي الذي حمل الافرنج على الاشتغال بلغـات وادب الشرق وخصوصا باللغة العربية ؟ من المعلوم ان اللغات الشرقية كانت مجهولة او تكاد في اروبا قبل الحروب الصليبية ، واول من تعاطى دراستها هم الرهبان بايعاز من الباباوية في القرون الوسطى الى القرن السابع عشر من المسيح . وما كان الغرض من ذلك ـ والحق يقال ـ الا غرضا دينيا محضا يتجلى لنا في مظهرين : اولهما رغبة الباباوية في حل بعض المعضلات والمعميات التي كانت عالقة بالكتب الدينية ، فاضطر الرهبان الى دراسة العربية كي يستطيعوا القيام باداء المهمة الملقاة على عواتقهم اذ كانت العلوم العربية المترجمة عن كتب ارسطو وغيره احسن معوان على ذلك ـ والمظهر الثاني من هذا الغرض كان تعميم دين النصرانية في الشرق ـ الا انهم اخفقوا الاخفاق التام من هاته الوجهة الاخيرة ولم تكلل مساعيهم بالنجاح الا من

وجهة اعم وانفع للبشرية ، الا وهي اماطة اللثام عن المدنية العربية وتشجيع النصارى على اقتطاف ثمارها

ولقد كانت للكتب العربية التي نقلها الرهبان من مؤلفات ارسطو وامثاله الفضل في انارة عقول الافرنج كما انارت عقول العرب قبلهم .

فمن ذلك التاريخ تطورت افكار متنوري الافرنج نحو الشرقيين عامة ونحو العرب خاصة فاخذوا في تعلم اللغات الشرقية حبا في العلم لذات العلم وشفاء لغليلهم وتعطشهم الى مناهل تلك اللغات المعبرة عن افكار اناس لا يمتون اليهم بصلة الدم والرحم، بل برابطة الذهن الوقاد والسعي المشترك وراء تحقيق الامثلة العليا التي ينتهي اليها طلب العلم والبحث عن مكامنه اينما وجدت .

بقي علينا ان نستعرض اعمال نخبة من المستشرقين منذ القرن السابع عشر حتى نرى هل ان الثناء العاطر الذي وجهه اليهم ذلك المؤلف الشرقي الكريم مع زمرة من زملائه المعروفين ، كان في محله ، وهل اصاب مدحه كبد الحقيقة ام اخطأ الهدف اطراء . ولنقتصر لضيق الوقت والمقام على اختيار اشهر المشاهير منهم .

من بين مستشرقي القرن السابع عشر يجدر بنا اذ نذكر اولا Thomos Erepenius ثم تلميذه Jacob Golius الهولانديين ثم بعد ذلك Barthélémy d'Herbelot الفرنسوي ولد Thomas Erpenius van Erpe سنة ١٥٨٤ في بلدة بركم بهولاندا ودرس اللغات الشرقية في جامعة ليدن تحت ارشاد Joseph Skaliger احد المستشرقين الهولانديين ايضا ثم سافر الى فرنسا وانجلترا وايطاليا والمانيا حيث استكمل معلوماته في اللغات الشرقية وخصوصا العربية وكان ذلك بفضل معاشرته لبعض الشرقيين المقيمين هنالك ورجع سنة ١٦١٣ الى وطنه حيث عين استاذا في جامعة ليدن ثم ترجمانا للحكومة الهولاندية واعتنى بانشاء مطبعة شرقية واشهر مؤلفاته كتاب في الصرف والنحو جدد طبعه ثلاث مرات وهو عبارة عن ملخص مفيد شامل لقواعد اللغة العربية مصنف بغاية الوضوح مؤلف باللغة اللاتينة التي كانت اذ ذاك لغة العلم والعلماء وقد ترجم ايضا الى اللاتينية تاريخ المكين وامثال لقمان الحكيم وفاز Erpenius بشهرة خالدة في احياء اللغة العربية في الغرب وكان لكتبه انتشار عظيم .

اما Golius فانه ولد بلاهاي عاصمة هولاندا سنة ١٥٩٦ ، وتخرج من جامعة ليدن ايضا حيث درس اللغات الشرقية وخصوصا العربية تحت ارشاد Erpenius ، ثم سافر في اوائل القرن السابع عشر الى المغرب الاقصى حيث اقام مدة مع سفير هولاندة هناك وبعد اوبته الى مسقط راسه خلف Erpenius في تدريس اللغة العربية بالجامعة وبعد ذلك سافر الى الشام لا لاغراض تجارية كما قيل غلطا ولكن للبحث عن مخطوطات عربية قد سمع بوجودها في تلك الديار، ثم رجع الى هولاندا حيث كرس بقيه عمره على العلم وتصنيف كتب ثمينة، منها المعجم العربي اللاطيني الشهير ،

عـــود على بـــدء

بعد نشر النبذة التي كتبتها تعليقا على قصيدة عقد الدر والمرجان بالجزء عـدد ١ - ٢ من المجلد الخامس من هذه المجلة ورد علي كتاب كريم والدر من معدنه لا يستغرب خاطبني به الاديب الفذ العالم النحرير المدرس الشيخ علي النيفر تضمن وقوفه على اربعة ابيات من نظم العلامة الشيخ محمد بيرم الرابع ذيل بها قصيدة جده المشار اليه بمناسبة جلوس السلطان عبد المجيد خان اثر وفاة والده السلطان محمود خان الثاني في سنـة ١٢٥٥ فاتماما لما سبق مني نشره من الجواهر البيرمية اصلا وفرعا بخصوص تلك القصيدة التاريخية بادرت لنقل الابيات المشار اليها هنا شاكرين للفاضل النيفري والنابغة العبقري عنايته بالادب التونسي اظهارا للمفاخر جامع الزيتونة بالكشف عن درره المكنونة وهـذا نص الابيات

ولمـا خبت انوار محمود وانطـوت ... محاسنـه طـي الـرداء المقمقـم
تعطر نادي الملك من نشر نجلـه ... وورثـه عبـد المجيـد المعظـم
واشـرق في افق الخـلافة بدره ... وعمر غاب الملك اشرف ضيغـم
فلا برحت اغصان دولة ملكهـم ... تغـذى بمـاء النصر ذات تـنعم

فهل من سبيل لمعرفة هل ان الشيخ محمد بيرم الرابع اكتفى في تذييله لقصيدة جـده بالاشارة فقط لدولة السلطان عبد المجيد خان ام الحق بالابيات المتقدمة غيرها عند قيام السلطان عبد العزيز خان مقام اخيه عبد المجيد خان في سنة ١٢٧٧ اذ من المعلوم ان الناظم ادرك دولة عبد العزيز خان والتحق بربه في سنة ١٢٧٨ وعنه ورث الشيخ الجد مسند المشيخة الاسلامية رحم الله الجميع .

محمد بن الخوجه

المطبوع في ليدن سنة ١٦٥٣ وهو من اهم المآخذ التي عول عليها مستعربو الافرنج فيما بعد ، لتصنيف قواميسهم العربية وذلك لغزارة مادته ودقة وضعها . ومما نشره Golius ايضا امثـال الطغرائي . وتوفي سنة ١٦٦٩

اما Barthélémy d'Herbelot فانه ولد في باريس سنة ١٦٣٥ والتحق بجامعتها حيث عنى بتعلم اللغات الشرقية ثم قصد ايطاليا واختلط في ثغورها بالنزلاء الشرقيين . وعند عودته الى فرنسا انتدبه Fouquet وكيل المالية اذ ذاك تحت رئاسة الوزير الخطير Mazarin لديوانه الخاص . وكان Fouquet حاميا للعلماء والادباء فقرر لـ d'Herbelot مرتبا سنويا يكفيه مؤونة المعاش . فتيسر له الانقطاع الى العلم ثم بعد اعتزال Fouquet عين كاتب سر ومترجما للغـات الشرقية في بلاط الملك لويس الرابع عشر ثم بعد ذلك رجع الى ايطاليا حيث اهدى اليـه الغراندوق فرديانان التوسكاني مجموعة من انفس المخطوطات الشرقية ثم عاد الى فرنسا باستدعاء من الوزير الجليـل Colbert فاستقبله الملك لويس الرابع عشر بكل ترحاب وعينه مدرسا للغـات الشرقية بمعهـد فرنسا بباريس الى ان توفاه الله سنة ١٦٩٥ . ومن مؤلفاته القيمة كتاب سماه « المكتبة الشرقية » Bibliothèque orientale التي هي عبارة عن دائرة معارف شرقية باللغـة الفرنسية مرتبة على حروف الهجاء والحقت بها فيما بعد زيادات مهمة من طرف المستشرق الفرنساوي Antoine Galland والمستشرقين الالمانيين Reiske et Schultens الـذين كانوا في طليعة مستشرقي القرن الثامن عشر .

ايها المستمعون الكرام .

هذا ما تيسر اليوم من الكلام على المستشرقين واعمالهم وعند فرصة اخرى سنتعرض لذكر بعض مشاهير القرون التالية فالى اللقاء عن قريب ان شاء الله .